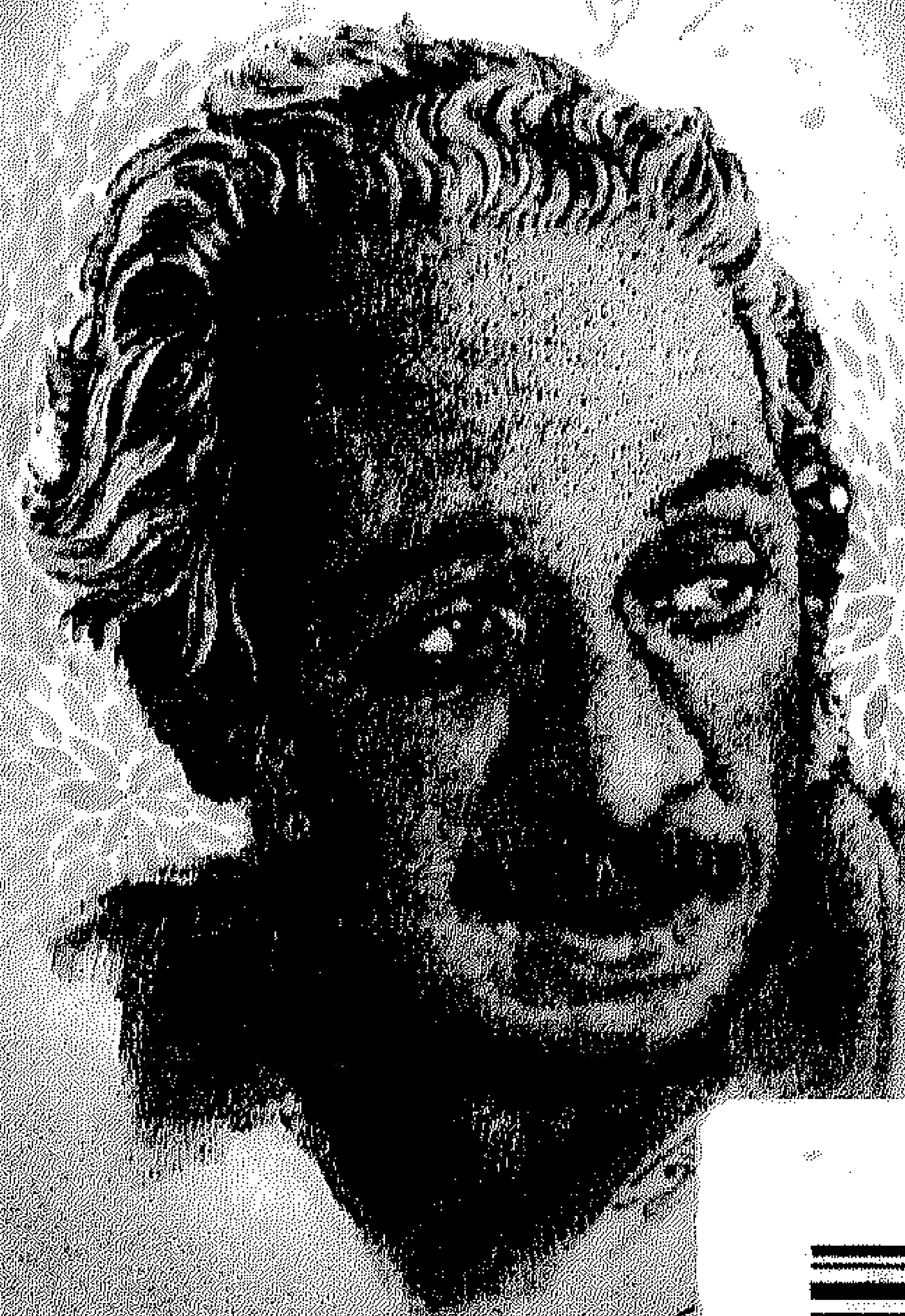


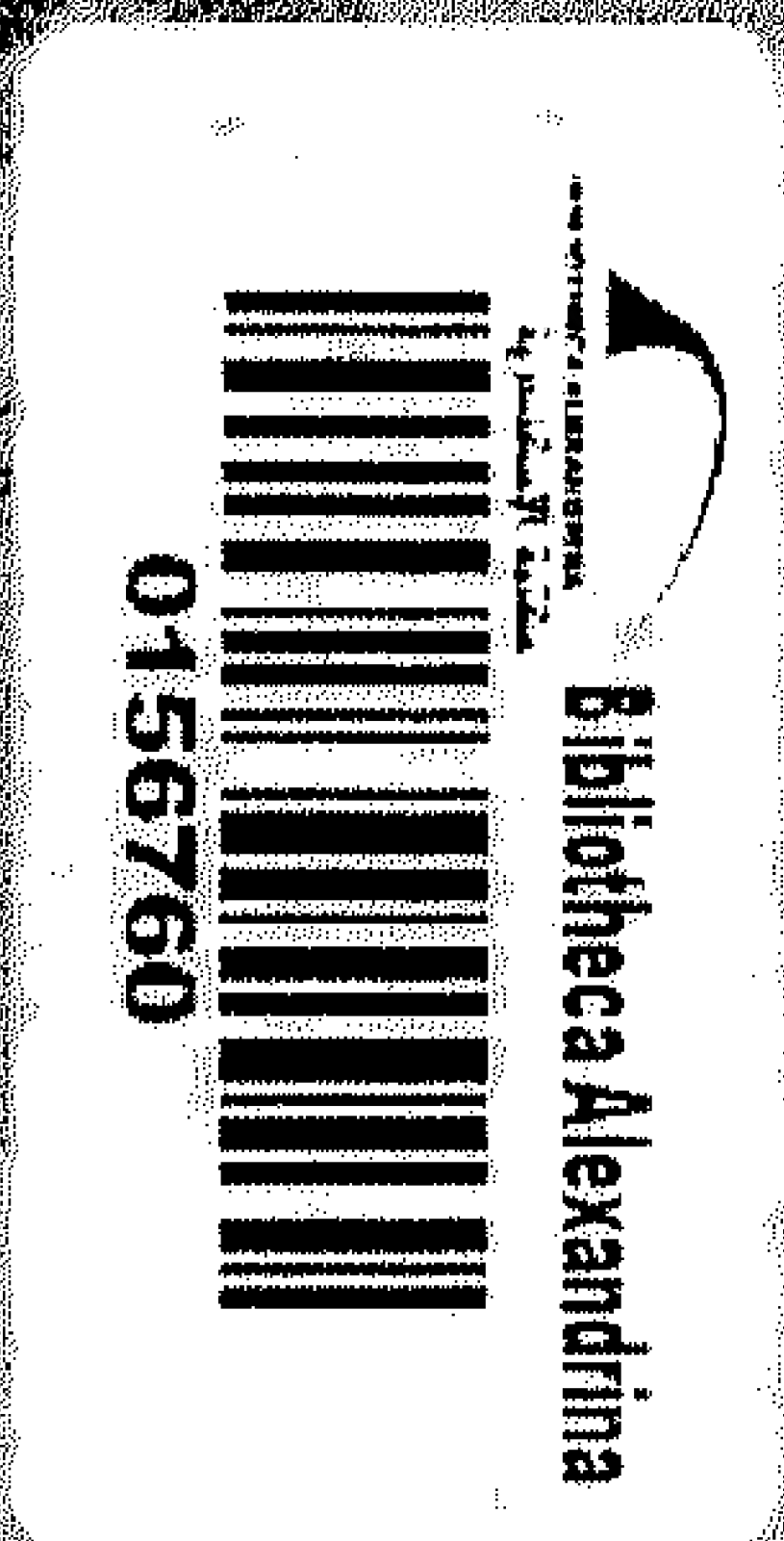
مكتبة الأسرة ١٩٩٨

الروائع



عبد الوهاب

صلاح عبد الصبور



أروع ما كتب الشاعر
صلاح عبد الصبور

أروع ما كتب الشاعر

عبد الوهاب الصبور

إعداد

د. محمد عناني



مهرجان القراءة للجميع ٩٨

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك
(الروائع)

أروع ما كتب الشاعر
صلاح عبدالصبور

الجهات المشاركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة التنمية الريفية

المجلس الأعلى للشباب والرياضة

التنفيذ: الهيئة المصرية العامة للكتاب

الغلاف:

للفنان جمال قطب

الإشراف الفني:

للفنان محمود الهندي

المشرف العام

د. سمير سرحان

مقدمة



ومازال نهر العطاء
يتدفق، تتفجر منه ينابيع
المعرفة والحكمة من خلال
إبداعات رواد النهضة
الفكرية المصرية وتواصلهم
جيلاً بعد جيل - ومازلنا
نتشبت بنور المعرفة حقاً
لكل إنسان ومازلت أحلم
بكتاب لكل مواطن ومكتبة
فى كل بيت.

شبّت التجربة المصرية «القراءة للجميع» عن الطوق ودخلت
«مكتبة الأسرة» عامها الخامس يشع نورها ليضىء النفوس
ويثرى الوجدان بكتاب فى متناول الجميع ويشهد العالم
للتجربة المصرية بالتألق والجدية وتعتمدها هيئة اليونسكو
تجربة رائدة تحتذى فى كل العالم الثالث، ومازلت أحلم بالمزيد
من لآلىء الإبداع الفكرى والأدبى والعلمى تترسخ فى وجدان
أهلى وعشيرتى أبناء وطنى مصر المحروسة، مصر الفن،
مصر التاريخ، مصر العلم والفكر والحضارة.

سوزان مبارك

على سبيل التقديم

تواصل مكتبة الأسرة ٩٨ رسالتها التنويرية
وأهدافها النبيلة بربط الأجيال بتراثها الحضارى
المتميز منذ فجر التاريخ وإتاحة الفرصة أمام القارئ
للتواصل مع الثقافات الأخرى، لأن الكتاب مصدر
الثقافة الخالد هو قلعتنا الحصينة وسلاحنا الماضى
فى مواكبة عصر المعلومات والمعرفة.

د . سمير سرحان

تصدير

تفخر مكتبة الأسرة بأن تقدم إلى القارئ العربى هذا العام مختارات من أروع ما كتبه الشاعر العظيم صلاح عبد الصبور ، وهى تجمع شتى الفنون التى أبدعها وتفوق فيها ، وتمتاز بالتنوع فى الرؤى وفى الأساليب والأشكال الفنية ، وتشهد بعبقرية قل أن وجود الزمان يمثلها .

وقد اختيرت القصائد بدقة من دواوينه الأربعة الأولى وروعى فى ترتيبها التسلسل الزمنى ، بحيث يمكن للقارئ أن يتابع تطور الشاعر من الديوان الأول « الناس فى بلادى » إلى الثانى وهو « أقول لكم » إلى الثالث وهو « أحلام الفارس القديم » وحتى الرابع وهو « تأملات فى زمن جريح » . ونرجو أن تكون هذه الطاقة من أزهار الشعر الحديث حافزاً يحفز القراء على قراءة الدواوين كلها فيما بعد .

مكتبة الأسرة

الفهرس

الصفحة	القصيدة
١٣	١- هجم التار
١٧	٢- شفق زهران
٢١	٣- أبى
٢٧	٤- سوناتا
٢٩	٥- الرحلة
٣١	٦- الوافد الجديد
٣٢	٧- الأطلال
٣٥	٨- ذكريات
٣٧	٩- لحن
٤٠	١٠- نام فى سلام
٤٤	١١- مرتفع أبداً
٤٧	١٢- سأقتلك
٥٣	١٣- الشهيد
٥٦	١٤- أغنية ولاء
٥٩	١٥- ثلاث صور من غزة
٦١	١٦- أحبك
٦٥	١٧- الحب

القصيدة	الصفحة
١٨- الكلمات	٦٩
١٩- أغنية للقاهرة	٧١
٢٠- أغنية لليل	٧٤
٢١- الحب فى هذا الزمان	٧٧
٢٢- رسالة إلى سيدة طيبة	٨١
٢٣- الخروج	٨٤
٢٤- أغلى من العيون	٨٧
٢٥- أحلام الفارس القديم	٩١
٢٦- انتظار الليل والنهار	٩٨
٢٧- مرثية رجل تافه	١٠٢
٢٨- مرثية رجل عظيم	١٠٤
٢٩- زيارة الموتى	١٠٦
٣٠- يا نجمى . . يا نجمى الأوحى	١١٠
٣١- الحلم والأغنية	١١٥

١ هجم التتار

هجم التتار

ورَمَوْا مدينتنا العريقةً بالدمارُ

رجعت كتابنا ممزقةً ، وقد حميَ النهارُ

الرايةُ السوداءُ ، والجرحى ، وقافلةُ مَوَاتِ

والطيلةُ الجوفاءُ ، والخطوُ الذليلُ بلا التفاتِ

وأكفَ جنديّ تدقُّ على الخشبِ

لحنَ السَّغَبِ

والبوقُ ينسلُّ في انبهارِ

والأرضُ حارقةٌ ، كأنَّ النارَ في قرصٍ تُدَارُ

والأفقُ مختنقُ الغبارِ

وهناك مركبةٌ محطمةٌ تدورُ على الطريقِ

والخيلُ تنظرُ في انكسارِ

الأنفُ يَهْمِلُ في انكسارِ

العينُ تدمعُ في انكسار
والأذنُ يلسعُها الغبار
والجندُ أيديهم مدلاةٌ إلى قربِ القدمِ
قمصانُهُم محنيةٌ مصبوغةٌ بِثَّارِ دمِ
والأمهاتُ هربنَ خلفَ الربوةِ الدكناءِ من هول الحريقِ
أو هول أنقاض الشقوقِ
أو نظرة التَّـرِ المحملقةِ الكريهة في الوجوهِ
أو كفهم تمتد نحو اللحم في نهم كرية
زحف الدمارُ والانكسارُ
وابلديتى ! هجم التتار

في معزل الأسرى البعيدِ
الليلُ ، والأسلاكُ ، والحرسُ المدجَّجُ بالحديدِ
والظلمةُ البلهاءُ ، والجرحى ، ورائحةُ الصديدِ
ومزاحُ مخمورين من جند التتارِ
يتلمظون الانتصار

ونهاية السفر السعيد

وأنا اعتنقت هزيمتى ، ورميتُ رِجْلِي فى الرمالُ
وذكرتُ - يا أُمى - أماسينا المنعمَ الطوال
وبكيتُ ملءَ العين - يا أُمى - لذكرى كالنسيمُ
وغمائم الكلم القديم
أُمى ...

وأنت بسفح ذاك التل بين الهارين
والليل يَعْقِدُ للصغار الرعبَ من تحت الجفون
والجوعُ والثوبُ الشفيف
والصُم والسِعالُ والظلماءُ تقعى فى الكهوف
أترى بكيت لأنَّ قريتنا حطام .. ؟
ولأن أياماً أثيرات تولَّتْ لَن تعود ؟
أماه ! إننا لن نبيدُ

هذا بسمعى صاحبٌ من أهلِ شارعنا العتيد
وسعالُ مهزوم قعيدُ
وفمٌ يهتمُّ من بعيدٍ بالوعيدُ

وأنا - وكلُّ رفاقنا - يا أمُّ حين ذَوَى النهار
بالحدِّ أقسمنا ، سنهتفُ في الضحى بدم التار
أماه ! قولى للصغار :

أيا صغار . . .

سنجوسُ بين بيوتنا الدُكْناءِ إن طَلَعَ النهارُ
ونشيدُ ما هدم التار . . .



شوق زهران

٢

... وثوى فى جبهة الأرض الضياء
ومشى الحزن إلى الأكواخ ، تَنِينٌ لَهُ أَلْفُ ذِرَاعِ
كل دهليزٍ ذِرَاعِ
من أذانِ الظهرِ حتى الليل ... يا لله
فى نصفِ نهارِ
كل هذى المحن الصمائمِ فى نصفِ نهارِ
مذ تدلى رأسُ زهران الوديعِ

كان زهران غلاما
أمه سمراء ، والاب مؤلّد
وبعينيّه وسامه
وعلى الصّدغِ حمامه
وعلى الزند أبو زيدٍ سلامه
ممسكاً سيفاً ، وتحتَ الوشمِ نبشٌ كالكتابه

اسمُ قريه

« دنشواي »

شب زهران قويا

ونقيا

يطأ الأرض خفيفا

واليفا

كان ضحاكا ولوعا بالغناء

وسماع الشعر في ليل الشتاء

ونمت في قلب زهران ، زهيره

ساقها خضراء من ماء الحياه

تاجها أحمر كالنار التي تصنع قبله

حينما مر بظهر السوق يوما

ذات يوم

من زهران بظهر السوق يوما

واشترى شالا منمنم

ومشى يختال عجباً ، مثل تركي معمم

وَيُجِيلُ الطَّرْفَ . . . ما أحلى الشبابُ

عندما يصنع حبا

عندما يجهدُ أن يصطادَ قلبا

كان يا ما كان أن زُفْتُ لزهرا ن جميلة

كان يا ما كان أن أنجب زهرا ن غلاما . . . وغلاما

كان يا ما كان أن مرَّت لياليه الطويلة

ونمت في قلبِ زهرا ن شُجيرَه

ساقها سوداءُ من طين الحياه

فرعُها أحمرُ كالنارِ التي تُحرقُ حقلا

عندما مرَّ بظهر السوق يوما

ذات يوم

مر زهرا ن بظهر السوق يوما

ورأى النارَ التي تُحرقُ حقلا

ورأى النارَ التي تصرعُ طفلا

كان زهرا ن صديقا للحياه

ورأى النيرانَ تمجتاح الحياه

مد زهران إلى الأنجم كفاً
ودعا يسألُ لُطفًا
ربما . . . سورةٌ حَقِدَ في الدماء
ربما استَعْدَى على النارِ السماء

وضع النِطع على السُّكَّة والغيلانُ جاءوا
وأتى السيافُ مسرورُ وأعداءُ الحياه
صنعوا الموتَ لأحبابِ الحياه
وتدلى رأسُ زهران الوديعُ
قريتى من يومها لم تَأْتَدِمُ إلاَّ الدموعُ
قريتى من يومها تاوى إلى الرُّكنِ الصديق
قريتى من يومها تخشى الحياةُ
كان زهرانُ صديقاً للحياة
مات زهرانُ وعيناه حياة
فلماذا قريتى تخشى الحياة . . . ؟



أبي

٣

... وأتى نعى أبي هذا الصباح

نام في الميدان مشجوج الجبين

حوله الذؤبان تعوى والرياح

ورفاق قبلوة خاشعين

وبأقدام تجر الأحذية

وتدق الأرض في وقع منقر

طرقوا الباب علينا

وأتى نعى أبي

كان فجراً موغلاً في وحشته

مطر يهمى ، وبرد ، وضباب

ورعود قاصفه

قطعة تصرخ من هول المطر

وكلاب تتعاوى

مطر يهيمى ، وبردٌ ، وضباب

وأتيناً بوعاءٍ حجرى

وملأناه تراباً وخشباً

وجلسنا

ناكلُ الخبزَ المقدَّدَ

وضحكنا لفكاهه

قالها جدى العجوزُ

وتسلَّلَ

من ضياءِ الشمسِ موعد

فتفاءلنا ، وحيَّنا الصباح

وبأقدام تُجَرُّ الأحذية

وتدقُّ الأرضُ فى وقع مُنْفَرِّ

طرقوا الباب علينا

وأتى نعىُّ أبى

حين ودعت أبى

من زمان

كان دَمْعِي غائراً في مُقَلَّتِي
وشفاها تنطقُ الحرفَ الصغيرُ
يا أبي !

مرة يخنُّهُ الدمعُ ، ويأبِّي
أن يذوبُ

في فراغِ العدمِ
ثم جمعتُ حياتي
وهي بعضٌ من أبي

ما الذي يقصيك عني . . ؟
ما الذي يدعوك للبحر الكبير ؟
ما الذي يدعوك للدرب المضلل ؟
لم تجفو مضجَعَكَ ؟

لم يبدو الموتُ في منزلنا
قديراً لا يخطئُ
وأبي يثنى ذراعَهُ

كهرقل

ثم يعلو بي إلى جبهته

ويناغى

تارة رأسي وطوراً منكبي

ويصرّ البابُ في صوتِ كُتيبٍ

ومضى عني ، وراحتْ خطوته

في السكونُ . . .

ونرى طَلَعَتَهُ ، فاعوى

يا أبي !

وأتى نعيُّ أبي هذا الصباح

نام في الميدان مشجوج الجبين

جُنَّتْ الريحُ على نافذتي

في مسائي ، فتذكرت أبي

وشكَّتْ أُمِّي من علَّتْها

ذاتَ فجرٍ ، فتذكرت أبي

عقرَ الكلبِ أخى . . .

وهو في الحقل يقوِّدُ الماشيه

فبكينا

حين نادى . . .

يا أبي !

إننا الأغرابُ في القفر الكبير

إننا ضيقنا وضائق روحنا

القطيع . . !

غاب راعيه ، وطالت رحلته

وهو في بيداء لا ظلَّ بها

يا لأقدام تجرُّ الأحذية

وتدقُّ الأرضَ في وقع منفر

يا لأقدام تذيعُ النبأ

نبأ المصروع في صخر الجبل

إنه مات !

إنه مات وجفت رحلته

إنه مات وواراهُ الشرى

حيثُ مات

حين غاب لهيب المدفاه

كلُّ شَيْءٍ كَانَ يَحْكِي النَّبَا
قطعةٌ تصرخُ من هولِ المطرِ
وكلابٌ تتعاوى
ورعودُ

كان فجراً موغلاً في وَحْشَتِهِ
وأتى نعى أبي
نام في الميدان مشجوج الجبين ..



٤ دسوناتا،

ولا تُشغَلِي إنا ذاهبــــــــــــــــانِ إلى قرية لم يطأها البشرُ
لنحيا على بقلها ، لا الحياةُ تَضُنُّ علينا ، ولا النبعُ جَفَ
ونصنعُ كوخاً حواليه تلُ من الوردِ باحتهُ ، والسُجفُ
ويا فتنتي ، سامي رحلتني وغربتنا المرفأ المنتظرُ

وكانَ سريرك من صندلٍ وفرشتُهُ من حريرِ الشــــــــــــــــامِ
وطوّقتُ جيدك بالياسمينِ ومسّحتُ كفّيك بالعنبرِ
وثوبك خــــــــــــــــيطُ من الموشلينِ وخيــــــــــــــــطُ من الذهبِ الأصفرِ
ونُرّخي الستارَ ، وفيروزتانِ تموجانِ في وجهك المُستهامِ

وأيقظني صاحبي (با فلان)

أفقُ ، غمــــــــــــــــرَ النورِ وجهَ الوجــــــــــــــــودِ
ودوى القطارُ ، ومــــــــــــــــاجَ الطريقُ

زحاما من الأرضِ حتى السماءِ

يساقونَ والموتُ في مرصدٍ
لمركبةِ البُلّه والأغبياء
لأجلِ الرغيفِ ، وظلٍ وريفٍ
وكوخٍ نظيفٍ ، وثوبٍ جديدٍ
وفي العصرِ شُفْتُكَ يا فستنتى
ولم نفترق في الزحامِ البليدِ
وقبَلْتُ ثوبَكَ يا فستنتى
لأنَّكَ أنتِ رجائي الوحيدُ



٥ « الرحلة »

الصباحُ يدرجُ في طفولته والليلُ يحبو حبو منهزم
والبدرُ لملم فوق قريننا أستاراً أوتيه ، ولم أنم

جامٌ وابريقٌ وصومعةٌ وسماءٌ صيفِ ثرةِ النعم
قد كرمت أنفاسها ريتي وتقطرت أنداؤها بفمى
ونجيمةٌ تغفو بنافذتي

لحظتُ شرودى لحظاً مبستسم
وصدى لموالٍ يعاودنى

وحفصيفٌ موسيقى من السدم

وروى أنضسرها وأطفئها وألها ، وينرُّها سامى
وعرائسُ تختالُ فى حلمى بين الدفوفِ وضجةِ النغم
وأطلُّ مأخوذاً فتبسم لى تيجانها ، ويهزنى ضرمى
وترودها كفى فيفجعنى حسُّ الدمى ، وبرودة الصنم

قممى تنكر لى مسالكها من بعد إلفى روعة القمم
يا رحلة المعنى على خلدى قرى بجدي ، عانقى عدمى

ولّى المساء وجوه السحرى الصبح أشرق وجهه الخمرى

ها إختوتى النوم ، ما ألقى

حـضن الكرى ، وسداجة الفكر



٦ الوافد الجديد

زورقي جانحٌ كسـيرٍ وشـراعى به حُرُوقُ
 وخليـجى ومرفئى نـامٌ مـن دُونِهِ المَضيـقُ
 وأنا جـاهِدٌ لَغُوبُ أَتـهـادى إلى الأبدِ
 نحو قصـرٍ من الرمالِ وقـلاعٍ من الزبدِ
 بينها يرقُدُ الحـبيبُ فى سـريرٍ من الدُخانِ
 فوقه مـجمَرٌ غـريبٌ وظلالٌ من القـيانِ
 زورقي مـالٌ وانكسر غـامٌ فى المـاءِ نصـفُهُ
 ضاعَ كـدُّى ! فلن أرى من سـبى النـفسِ وِصفُهُ
 وبعيداً على الضفافِ هلَّلَ الوافـدُ الجـديدُ
 لـبـيبي ، عـلى دمي قـد بـنى عالماً سـعيدُ



الاطلال ٧

أطلال ... أطلال
يمشي بها النسيانُ
في كَفِّهِ أَكْفَانُ
لكل ذكرى قَبْرُ
وبينها قبرى ..

أطلال ... أطلال
ناحت له صِلَوَاتُ
وامتَرَحَمَتْ عِبْرَاتُ
وتصدَّتْ التَزَاوَتُ
في ثوبِها الشِعْرى

أطلال ... أطلال
الوردُ فيها تَلَّ
ممزَّقٌ مَبْتَلُ

بالنهر من سَمعى

والقيظ من فكرى

أطلال . . . أطلال

والجنُّ فيها سُودُ

لهم فَحِيحُ السُّودِ

يَثْبُونُ فى الأسحار

وثباً على صدرى

أطلال . . . أطلال

والفجرُ فيها طفل

مُعَقَّرٌ مُعْتَلِّ

مَمَزَّقُ الوجَنَاتِ

مروَّعٌ يجرى

أطلال . . . أطلال

والبلبلُ النَوَّاحُ

ولّى بغيرِ جناح
إلا رؤىً ونحيالُ
أصبحتُ لا أدري

أطلال ... أطلال
« تأنجو » ترنّ هناك
أزهارها أشواكُ
وشطّها خدّاعُ
والركبُ لا يدري

أطلال ... أطلال
هذى هي الأطلال
نهايةُ الآمالِ
أسعى وراءَ الشمسِ
والشمسُ في ظهري ..



ذكریات

٨

ذاتِ مساءٍ مُظْلِمٍ كأنَّهُ سِرْدَابُ
أُطْلُ من كَوَى الجِدَارِ وَجْهَهُ المَرْتَابُ
والرَّيحُ حَوْلَ كَوْنِهِ قَارِصَةٌ مَدْمَدَمَةٌ
والرَّعْدُ قَاصِفُ الصَّدَى ، مَدِينَةٌ مُنْهَدِمَةٌ
والْبَرْقُ ضَاءٌ فِي السَّمَاءِ أَهْلَةٌ أَهْلَةٌ
وَالْأَفَقُ غَابَةٌ كَثِيفَةُ النِّبَاتِ مُشْعَلَةٌ
فَلَمْ يَجِدْ لَهُ إِلَى الْإِخْلَاصِ مِنْ سَبِيلٍ
وَمَاتَ فِي مَسْجِنِهِ ، فِي كَوْنِهِ الدَّلِيلُ

وبعدَ عامٍ ، مثلما يُقالُ ، دَبَّتْ الحَيَاةُ
فِي رُوحِهِ وَجَسَمِهِ ، فَهَبَّ يَبْتَغِي النِّجَاءَ
أُطْلُ من كَوَى الجِدَارِ وَجْهَهُ ، يَا فَرَحَنَا
فَأُطْبِقِ الْعَيْنَيْنِ ، صَرَّ بَابُهُ ، وَالتَّسْفَتَا
وَكَانَتْ السَّمَاءُ بَحْرَةً تَمُوجُ بِالْحَنَانِ
وَالشَّمْسُ وَالْهَلَالُ فِي الْخُضْمِ زَوْرَقَانِ

وحيث مَدَّ قامةً كسيرةً مسحومةً
تلقَّعَ الثوبَ القديمَ ، والحوائجَ القديمة

وكان جائعاً وظامئاً ، ممزَّقَ الثياب
ولم يكنْ لقلبه في الكونِ من أحباب
وفجأةً لاحَ له أميرةٌ مؤترةٌ
بيضاءُ مثل لؤلؤ ، وحلوة كسكره
مدَّت ذراعِي فضة تَلقاهُ في تحنان
وكوَّمتْ في ثغرها النضير قُبلةَ الحنان
لكنَّهُ استدارَ للفلاة حائر الخطى
كأنَّهُ ، فيما يحدثون ، عملاقٌ مضى
ومات يا سيدتي الحسناء ميتة الشهيد
ولن يعودَ للحياة ، والشهيدُ لن يعود
وتسألينَ : لمْ حكيتَ في المساءِ قصَّتَهُ
ولمْ بعثتَ في السكونِ ذكرياتِ ميتة ؟
سيدتي ! حينما عاهدتُهُ كان يموت
سيدتي ! أما عرفتِ أنني صممت
يطلُّ من كُوى الجدارِ وجههُ المرتاب
كل مساءٍ مظلمٍ كأنَّهُ سرْداب



جارتى مَدَّتْ من الشَّرْفَةِ حبلًا من نَغَمٍ
نغمٍ قاسٍ رتيبٍ الضربِ منزوفٍ القَرَارُ
نغمٍ كالنارِ

نعمٍ يقلعُ من قلبى السكينة
نغمٍ يورِقُ فى رُوحى أدغالا خزينه
بيننا يا جارتى بحرٌ عميق
بيننا بحرٌ من العجزِ رهيبٌ وعميق
وأنا لستُ بقُرْصَانٍ ، ولم أركب سفينه
بيننا يا جارتى سبعٌ صحارى
وأنا لَمْ أبرح القريةَ مُذْ كنتُ صَبِيَا
أُلْقِيَتْ فى رجلي الأصفادُ مَذْ كنتُ صَبِيَا
أنتِ فى القلعةِ تَغْفِينِ على فَرْشِ الحريرِ
وتذودينَ عن النَّفْسِ السَّامَةِ
بالمرايا واللآلى والعطورُ

وانتظار الفارس الأشقر في الليل الأخير

« أشرفي يا فتنتي »

« مولاي !! »

« أشواقى رمتُ بي »

« آه لا تقسم على حبي بوجه القمرِ

ذلك الخداعُ في كلِّ مساء

يكتسى وجهاً جديداً ...

جارتى ! لستُ أميرا

لا ، ولستُ المضحك المراح في قصرِ الأمير

سأريك العجبَ المُعجِبَ في شمسِ النهار

أنا لا أملكُ ما يملأُ كفىً طعاما

وبخديك من النعمةِ تفاحٌ وسُكَّرٌ

فأضحكى يا جارتى للتُعساء

نغمى صوتك في كلِّ فضاء

وإذا يُولدُ في العتمةِ مصباحٌ فريدٌ

فاذكرى ...

رَبُّهُ نَوْرُ عَيْونِي وَعَيْونُ الْأَصْدِقَاءِ
وَرَفَاقِي طَيِّبُونَ
رَبِّمَا لَا يَمْلِكُ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ حَشْوَةً فَمِ
وَيَمْرُونَ عَلَى الدُّنْيَا خِيفَةً كَالنَّسَمِ
وَوَدَّعِينَ كَأَفْرَاحِ حَمَامَةٍ
وَعَلَى كَاهِلِهِمْ عِبْدٌ كَبِيرٌ وَفَرِيدٌ
عَبْدٌ أَنْ يُوَلَّدَ فِي الْعَتَمَةِ مِصْبَاحٌ وَحِيدٌ . . .



١٠ نام فى سلام

« لذكرى قريبي وصديقى الطيار محمد نبيل الباجورى »

« امشهد على رمال غزة فى سبتمبر عام ١٩٥٥ »

وأذرفت عيناهُ دمعَةً السرورُ
ونُورت فى وجهه النّيلُ بسمَةً وديعهُ
يحارُ فى تأويلها القضاءُ
ومد كفهْ ، منارة الضياءُ
ثم أحالَ طرفهُ كأنه يبارك الحياة والأحياء
بنظرةٍ باسمَةٍ تُضاحِكُ السماءُ
وماتَ ذلك الوديعُ دونَ ما احتفالُ
معلماً ورائداً فى سُنَّة الكمالِ
أما التلاميذُ الذين أنفقوا أيامهم محبةً للحكمةِ
فقد تهامسوا بدهشةٍ
« أيسمُ المعلم ؟ »
عندئذٍ أجابَ أكثرُ الشبابِ فطنهُ

ألم يَقُلْ لنا المعلمُ الشهيدُ حكمةَ الأجيال
يا أيها الإنسانُ . . .

إعرفُ نفسك . .

وهو يموتُ وادعاءً ، لأنه عَرَفَ

فماتَ في سبيلِ سُنَّةِ الكمالِ

وجرَّ آخرَ صليبهُ ، ووجههُ يفورُ بالزَّيدِ

والجُهدُ والرَّمضاءُ يُغريانِ منكبينِ عارينِ

لكنَّهُ ابتسمَ

لأنه قد وهبَ الحياةَ

أيامهُ القليلة

لكي يزيدَ في هناءةِ ابتسامَةِ الصَّبِيِّ

ونشوةِ العذراءِ

وفرحةِ الآباءِ بالأبناءِ

لكي ترفَّ في سَحابةِ السماءِ

حمامةُ السلامِ

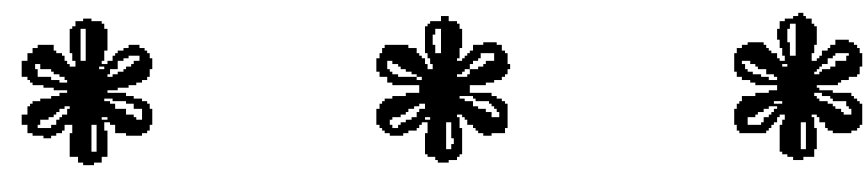
أما أخى « محمد نبيل »
فقد طوى جنازه شوارع المدينة
فى ظهر يوم قاتظ ، والناس مطرقون
أحبابه ، أحبابنا ، وأهل حينا القديم
وأعولت صبية فى شرفة مهدومة
ودق طبل معول ، وسار جند واجمون
وساءلت مشيرة عجوز
« فى ذلك الصندوق ، من هذا الذى ثوى ؟ »
« هذا فتى مجاهد قد مات فى العشرين »
ولم تقل كليمه ، امرأة غريبة
لكنها من قومنا ، فى قلبها كنور
وتعرف الحنان والأحزان
فاندفعت باكية فى رحمة الجنائز
ومس لحمها العجوز منكبى وساعدى
وكان لحم منكبى يغوص فى الصندوق
وكل شئ كان هامداً كأنه يموت
لكنه يموت فى عناق

وفى المدافن التى تنامُ فى الحقولِ غيبوهُ
لم يبقَ من هذا الوسيمِ غيرُ حفنةِ ترابٍ
ترابِ مصر

تعود كى تنامَ فى حضنِ الترابِ
ترابِ جدُّنا وأهلنا ، تنامُ
تنامُ فى سلامٍ

وكانَ فى وجهِ السما سحابة من الشفقِ
حمراءُ مثلُ دمٍ

وكانَ فى طرفِ المدى نَوَّارةِ الحقولِ
بيضاءُ مثلُ قلبينا ، وقلبه ، وقلبِ ميتينِ آخرينِ
من قومنا المجاهدين الطيبين
من قومنا الذين باركوا الحياة



رفع العلم المصرى على مبنى البحرية ببورسعيد يونيه سنة ١٩٥٦

لترتفع ، لترتفع ، يا أيها المجيد
يا أجمل الأشياء فى عينى ، أنت يا خفاق
يا أيها العظيم ، يا محبوب ، يا رفيع ، يا مهيب
يا كل شيء كان فى الحياة أو يكون
يا علّمى ، يا علّم الحرية
فداء تلك اللحظة المجيدة الثرية
مضى إلى السكون من أحبابنا ألوف
ليجعلوا قلوبهم تلاً من التراب
يقوم فوقه العلم
ليفتلوا عروقهم سارية مجيده
يزين فرعها العلم

لينسجوا أيامهم ديباجة خضراء

ترف فى الهواء

كوجهك النيل ، يا علم

ومن بياض المقلتين ، حين تشخصان للسماء

تستطران - فى ليالى اليأس بسمة الرجاء

هلا لك الوسيم ، يا علم

فلترفع يا أشرف الأشياء

أفديك صاعداً إلى السماء

كطائر من الجنان ينقر السحاب والأجواء

برقة نبيلة من ذلك الجناح

يهز قلبنا الحنين ، يا علم

فى سحبة صغيرة من طرفك المعقود

يموج حبنا العميق ، يا علم

لقد ملكتنا بوجهك الجميل

ورقة الجناح

وخفقتك النيل

ورقة الوشاح

وما أكتبنا فى سبيل أن ترف يا علم

ليسترح على وساد الشمس خدك الرقيق
إلى الأبد

لتضحك السماء لك

سحابة سخية تظلك

والقمر الزاهى يقبلك

والشفق المخضوب بالدماء يغسلك

لتحترق على المدى جسومنا

لكى تنير أنت

تغوص فى جوف الثرى عظامنا

لتستطيل فى قلب الثرى ساريتك

وترتفع

وما تزال ترتفع

يا أشرف الأشياء



أكتوبر سنة ١٩٥٦

سأقتلك

من قبل أن تقتلنى سأقتلك

من قبل أن تغوص فى دمى

أغوص فى دمك

وليس بيننا سوى السلاح

وليحكم السلاح بيننا

سنابك الجدود وقعها المهيب ما يزال

يموج فى ذاكرة الأيام

ونورهم يختال فوق مفرق التاريخ

فمنهم الذى بنى حجارة الأهرام

لكى يمجّد الإنسان حين يشمخ الإنسان

ومنهم الذى بنى منارة الإسلام

لَكَيْ يَقُولَ لِلْأَنَامِ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَنَحْنُ فِي حَاضِرِنَا الْمَجِيدِ نَصْنَعُ السَّلَامَ
هَدِيَّةً مِنْ شَعْبِنَا لِلْعَالَمِ الْجَدِيدِ
الْعَالَمِ الَّذِي يَرِيدُ
يَرِيدُ لِلرِّجَالِ أَنْ يَعَانِقُوا الرِّجَالَ دُونَ حَقْدِ
الْعَالَمِ الَّذِي يَرِيدُ
يَرِيدُ لِلنِّسَاءِ أَنْ يُغْفِينَ وَادْعَاتِ
فِي أَذْرَعِ الْأَزْوَاجِ وَالْأَحْبَابِ وَالْأَبْنَاءِ
الْعَالَمِ الَّذِي يُصْبِحُ الْأَطْفَالَ ، نَوْرَةَ الْأَمَلِ
بُنْغِيَّةَ الْحَنَانِ وَالْدُمَى وَبِالْقُبُلِ
الْعَالَمِ السَّعِيدِ ، وَاحِدَةُ الْأَجْيَالِ
فِي سَعْيِهَا قَوَافِلُ الْأَجْيَالِ ، نَحْوَ عَالَمٍ سَعِيدٍ
وَأَنْتَ ، وَالْإِمْحَالُ وَالْعِيَاءُ وَالظَّلَامُ فِي خُطَاكَ
تَرِيدُ أَنْ يَصْفَرَ فِي الْقُلُوبِ بُرْعُمُ الْأَمَالِ
فِي عَالَمٍ سَعِيدٍ
أَقْسَمْتُ بِالْأَهْرَامِ وَالْإِسْلَامِ وَالسَّلَامِ

سأقتلك

بكلِّ ما سُقيتُ من مرارة الأيامُ

أغوصُ في دَمِك

أقسمتُ بالأخ الذى مضى ، وخلتُهُ بلا ثمنٍ

فى عامِنَا الماضى ، ولم يُلَفَّ حول جسمه كفنٌ

لأنه احترق

على تراب « غزّة » البيضاء بالطائرةِ احترق

كان اسمه « نبيل »

وكنتُ فى محبَّتِي أدعوه بُلْبُلَى الحبيب

وكان راعفَ الجناح ، دائبَ الأسفار

وكان حينما يعودُ ينقرُ الودادَ من فُؤادى ..

حَبَّتَيْنِ ... حَبَّتَيْنِ

فحبةٌ لجوعه ، وحبّةٌ تذكّار

وفى الأصيل ، كان يهدِلُ اللقاء غُنوتَيْنِ

فغنوةٌ لأهلنا ، وغنوةٌ للدارِ

لكنَّهُ مَضَى ، وَخِلَّتُهُ مَضَى بِلَا ثَمَنِ
أَقْسَمْتُ وَجْهَكَ الْجَدِيبُ سَوْفَ يُصْبِحُ الثَّمَنُ
مِنْ أَجَلِهِ سَأَقْتُلَكَ
لَأَجَلَ ثَارِهِ أَغْوَصُ فِي دَمِكَ

الشمسُ في بلاد الشمس بهجةُ النظرِ
وفوق معطفِ السحابِ يدرجُ القمرُ
وتزدهي النجوم كالزهر
وفي ربي بلاد الشمس تورقُ الحياه
سنابلاً ذهباً

والشمسُ واللجينُ في صبا الأصيل ينسجان
مطارفاً ما حازها في وهمه فنَّانُ
أقسمتُ بالقمر
وبالسحابِ والزهر
وباللجين ، واهبِ الحياه
سأقتلك ،

من قبل أن تقتلنى سأقتلك

أهل بلادى يصنعون الحب

كلامهم أنغام

ولغوهم بسام

وحين يسغبون يطعمون من صفاء القلب

وحين يظمأون يشربون نهلة من حب

ويلفظون حين يلتقون بالسلام

- عليكم السلام

- عليكم السلام

لأن من ذرى بلادنا ترقق السلام

وفاض من بطاحتها محبة خضراء مثل نبتة الحقول

ورقة بيضاء كالأزهار فى الخميل

ورحمة زهراء

كقلب أمهاتنا

كفرحنا بعيدنا

كالقطنِ حينَ يستنيرُ لوزُهُ جنى
وأنتَ ، يا مُدنَّسَ الخطى
تريدُ ، بشَّ ما تريدُ
لكننى سأقتلك
من قبل أن تقتلنى أغوصُ فى دَمِكْ



يا عجباً ، كلَّ مساءٍ موعدي مع المضرَّج الشهيد
 كأنَّ منديلَ الشفقِ
 دمه

كأنَّ مدرجَ الهلالِ كفُّه ومعصمُه
 كأنَّ ظلمةَ المساءِ معطفُه
 وبدرةَ السنا أزرارُ سترتهُ
 كأنَّه مسافرٌ على جوادِ الليلِ مشرقاً ومغرباً
 كلَّ مساءٍ بلا ملالٍ

يهيجُ في قلبي اللياعَ والشجى
 لأنَّ بين مقلتيه جرحاً ما يزالُ
 وحين يوغلُ المساءُ ، أهتفُ اسمه الحبيبُ
 أدعوه أن يخف لي من أفقه الرحيبُ
 يجيئُ . . لا يكسر قلبي

تَجُورُ خَفَاءً إِلَى جَوَارِي
وَيَتَكَّى جَنْبِي عَلَى سِرِيرِي
لَكِنَّمَا عَيْنَايَ تُطْرَفَانِ ، تَعْشِيَانِ
وَكَيْفَ لِي ، وَجَرَحُهُ فِي وَجْهِهِ مَصْبَاحُ
الصَّمْتِ ! لَا أَحَارُ مَنْطَقًا
وَرَبَّمَا أَقُولُ : أَنْتِ
وَرَبَّمَا تَطُوفُ فِي وَجْهِهِ أَنْفَاسُهُ
كَأَنَّمَا تَقُولُ جِئْتُ . . .
لَكِنَّمَا دِيكَ الصَّبَاحُ صَاحٍ فِي الْأَفْقِ
لِنَفْتَرِقَ
لَا تَلُهُ عَنْ مَوْعِدِنَا ، إِلَى الْلِقَا
وَحِينَ يَنْشُرُ الْجَنَاحَ
يَقُولُ خَافَقِي : رَأَيْتُهُ
تَقُولُ مَقَلَّتِي : كَأَنَّنِي رَأَيْتُ
كُلَّ مَسَاءٍ يَنْزِلُ الشَّهِيدُ فِي مَدِينَتِهِ

يَبْثُهَا أَشْوَاقُ قَلْبِهِ الْبَرَىءُ
وَأَمْسَ مَرًّا ثُمَّ حَيًّا وَجْهَهُ الْوَضَىءُ
هَنِيئَةً وَمَا جِ ثَوْبُهُ عَلَى اسْتِدَارَةِ الْأَفْقِ
فَوْقَ رَبَى الْمَدِينَةِ الْفَسَاحِ
وَانْطِفَاتٍ جِرَاحُهُ فِي صَدْرِهَا الْجَرَىءُ
وَنُورُ الْمَسَاءِ بِالْجِرَاحِ
كَأَنَّهُ صَبَاحٌ . . .



١٤ أغنية ولاء

صنعتُ لك
عرشاً من الحرير . . . مخملي
نجرته من صندل
ومسندين تتكى عليهما
ولجة من الرخام ، صخرها ألماس
جلبتُ من سوق الرقيق قيتين
قطرتُ من كرم الجنان جفتين
والكأسُ من بللور
أسرجتُ مصباحا
علّقتُهُ في كوةٍ في جانب الجدار
ونوره المفضضُ المهيّب
وظلُّه الغريب
في عالم يلتفُ في إزاره الشحيب

والليلُ قد راحا
وما قدمت أنت ، زائري الحبيب

هدمتُ ما بنيت
أضعتُ ما اقتنيت
خرجتُ لك
على أوافى محملك
ومثلما ولدتُ - غير شملة الإحرام - قد خرجت لك
أسائلُ الروادُ

عن أرضك الغريبة الرهية الأسرار
في هدأة المساء ، والظلامُ خيمةُ سوداء
ضربتُ في الوديان والتلاع والوهادُ
أسائلُ الروادُ
« ومن أراد أن يعيش فليمتُ شهيد عشق »

أنا هنا ملقى على الجدار
وقد دفنتُ في الخيال قلبي الوديع

وجسمى الصريع
فى مهمه الخيال قد دفنت قلبى الوديع

يا أيها الحبيب
معذبي ، يا أيها الحبيب
أليس لى فى المجلس السنى حبة التبيع
فإننى مطيع
وخادم سميع

فإن أذنت إننى النديم فى الأسفار
حكائى غرائب لم يحوها كتاب
طبائعى رقيقة كالخمر فى الأكواب
فإن لطفك هل إلى رنة الحنان
فإننى أدل بالهوى على الأخدان
أليس لى بقلبك العميق من مكان
وقد كسرت فى هواك طينة الإنسان
وليس ثم من رجوع ...



١٥ ثلاث صور من غزة

-١-

لم يكُ في عيونه وصوته ألمٌ
لأنه أحسَّ سنه
ولاكهُ . . استنشقه سنه
وشاله في قلبه سنه
وطالت السنون أزمنة
فأصبحت آلامه - في صدره - حقدا
بل أملاً ينتظر الغدا

-٢-

يا أيها الصغار
عيونكم تحرقني بنار
تسألني أعماقها عن مطلع النهار
عن عودة إلى الديار

أقول . . . يا صغارُ

لنتظر غداً

لو ضاع منا الغد ، يا صغارُ . . .

ضاعَ عُمرُنا سدي

-٣-

كانت له أرض وزيتونه

وكرمةً ، وساحةً ، ودارُ

وعندما أوفت به سفائنُ العمرِ إلى شواطئ السكينة

وخطَّ قبره على ذرى التلالُ

انطلقت كتائبُ التَّارُ

تذوده عن أرضه الحزينة

لكنه خلفَ سياجِ الشوكِ والصَّبَّارِ ظل واقفاً . . .

بلا ملال

يرفضُ أن يموتَ قبلَ يومِ ثارُ

يا حلُمَ يومِ الثَّارِ



لا ، لا تنطق الكلمة

دعها بجوف الصدر منبهمه

دعها مغممة على الخلق

دعها ممزقة على الشدق

دعها مقطعة الأوصال مرميه

لا تجمع الكلمة ...

دعها رمادية

فاللون في الكلمات ضيعة

دعها غمامية

فالخصب شردنا وجوعنا

دعها سديمية

فالشكل في الكلمات توهنا

دعها ثرايبية

لا تلق نبض الروح في كلمه

كم مرة جاشت يي الكلمة
ويدت لعيني ، وهي تستاني
فوق الشفاه رقيقة تُحني
جيداً ، وتستدني
خدين مضمومين في بسمه
وتكاد تغلبنني على قصدي
لأقول ما أعني
وأفك طلسمي ، وأجمع من
حلقى الشباك لتُفلت الكلمة
وأعود أذكر مرة سلفت
عامين من بأسائها اغترفت
روحي الكتوم ، لأنها اعترفت
وسقطت تحت سنابك الكلمة
لا ، لا تنطق الكلمة ...
حتى ولو ماجت بوجه النيل

أنسامُ ليلةٍ صيفٍ
حتى ولو رَفَّتْ على أرغولٍ
محرورةً ، نَغَمَ
حتى ولو فى الرملِ خطَّ الألفِ
حرفينِ مَلَوَّينِ
حتى ولو طالَّعتْ فى عينيه . . . فى العميقينِ
قَسَمَاتِكَ المحمومةِ الشفتينِ
وتَسَاءَلَتْ شفتاك . . . ما كَلِمَهِ ؟
تُهدى لحدِ باسمِ . . . نِعَمَ
وتنامُ فى كفينِ ممدودينِ
وتطوفُ أنفاساً على نَهْدَيْنِ
ما أجملَ الكَلِمَهِ . . !

ها قد نَسِيتَ حياتَكَ الأولى
والجرحَ والذَّلَّةَ

ها قد جمعتَ الحرفَ جنبَ الحرفِ والحرفينِ

لَمَعَتْ بِشْيءٍ دَافِيٍّ مَقْلُهُ
وَتَمَدَّدَ الْإِعْيَاءُ فِي الشُّفَّتَيْنِ
وَعَدَا جَسُورٌ كَانَ مَغْلُولًا
وَمَسَقَطٌ تَحْتَ سَنَابِكِ الْكَلِمَةِ ..



لأنَّ الحبَّ مثلَ الشعرِ . . . ميلادُ بلا حُسيانُ
لأنَّ الحبَّ مثلَ الشعرِ ، ما باحت به الشفتانُ
بغير أوانٍ

لأنَّ الحبَّ قهارٌ كمثلِ الشعرِ
يرفرف في فضاءِ الكونِ . . . لا تَعْنو لهُ جِبْهَه
وتعلو جبهَةُ الإنسانِ

أحدثُكُم - بدايةً ما أحدثُكُم - عن الحبِّ
حديثُ الحبِّ يوجِعُنِي وَيُطْرِبُنِي وَيُشْجِنِي
ولما كانَ خَفَقُ الحبِّ في قلبي هو النجوى بلا صاحب
حملتُ الحبَّ في قلبي ، فأوجَعَنِي ، فأوجَعَنِي
ولما كانَ خَفَقُ الحبِّ في قلبي هو الشكوى إلى الصاحب
شكوتُ الحبِّ للأصحابِ والدنيا ، فأوجَعَنِي
ولما صارَ خَفَقُ الحبِّ في قلبي هو السَّلوى

لأيام بلا طعم ، وأشباح بلا صورة
وأمنية مجنحة بجوف النفس مكسورة
حملتُ الحبَّ للمحبوب ، ثم دنوتُ من قلبه
وقلتُ له : أتيتك . . . لا كبير النفس ، لا تياه
ولا فى الكم جوهرة ، ولا فى الصدر وشختُ
ولكنى إنسانٌ فقير الجيبِ والفطنة
ومثل الناسِ أبحث عن طعامى فى فجاج الأرض
وعن كوخٍ وإنسانٍ ليستر ما تعرّيتُ
وحين أدارَ لى وجهاً شريفَ الملح والصورة
تغنيتُ . . . تغنيتُ :

أغنيةً لقد محبوبى

أغنيةً لوجهه الجميلُ

أغنيةً لشعره الذهبى

أغنيةً لخدّه الأسيل

لكننى لستُ بموهوبٍ

أنا فتى لا يعرف القليلُ

أنا فتى لا يملك القليلُ

وقالت لي : لوجهي والهوى يا شاعري غنيتُ
فغنّ الآن أغنية لقلبك أنتُ

أسندتُ عودي إلى الضلوعُ
ورحت استقطرُ النغمُ
فأنّ عودي على الضلوع
وغمغم الصوتُ ، وانبهم
لحني ، فلتسعف الدموع

وضعتُ العود ، ثم صنعت بالكلمات ألحانا
بريئات كما في القلب ...
وقلت لها بأن الحب ما يصنعُ بالإنسان انسانا
وأن الحب ...

عندما يصبح إنسان حقيقة
عندما يبحث في ظل العيون السود عن عين صديقه
ويراها ...

عندما يحلم بالبيت ، وبالدفء على مخدع نظره
ويواري خوفه في متكاهها

عندما يحلمُ بالأطفالِ والنزهة في إصباحِ جمعة
عندما تُمزجُ في عينيه أشواقُ ودمعهُ
عندما يُشرعُ إنسانٌ لإنسانٍ جناحهُ
ويناغيه دلالاً وسماحه

عندما يصبح ما مرّ من الأيام محواً
لم يكن حيناً حياة القلب
عندما يصبحُ كل اللفظ لغواً
غير لفظ الحب

وغمغم الصوت وانهم
لَحْنِي ، فلتسعف الدموع
وأغضتُ ،
ثم قالت لي ،
لقد طابت بك الأيام ، مرحى بك
عرفتُ الآن أنك لي ،
وآنى لك



الكلمات

١٨

وقفت أمامكم بالسوق ، لا ثوبى من الديباج
ولم أتقلد الشارات ، أو ألتف بالأدراج
ولم تَعْتَمُ مثلَ البرج فوقَ التلِ جُنْجُمَتِي
ولم أمسك بكفى صولجانَ الحكمِ والمِقْوَدِ
وما السوقُ ببَيْتِ أبى ولا المَعْبَدِ
حديثى محضُ ألفاظٍ ، ولا أملكُ إلّاها
أرقرقها لكم نَغْمًا ، أجملّها أفانينا
أرقشها تلاوينا

وللألفاظ سلطانٌ على الإنسان

ألم يرووا لكم فى السّفْرِ أن البدءَ يوماً كان ...

- جلّ جلالها - الكلمة

ألم يرووا لكم فى السّفْرِ أن الحقّ قوَالُ

ولكننى أقولُ لكم بأن الحقّ فعَال

أقول لكم :

بأن الفعل والقول جناحان عليان

وأن القلب إن غمغم

وأن الخلق إن همهم

وأن الريح إن نقلت

فقد فعلت ، فقد فعلت !!

كتائب فوق طوق الحصر مسرجة على الأفراس طوافة

وطوق لجامها الكلمات



١٩ أغنية للقاهرة

« بعد شهر من التجوال »

لِقَاكِ يَا مَدِينَتِي حَجَّيْ وَمَبْكَايَا

لِقَاكِ يَا مَدِينَتِي أَسَايَا

وَحِينَ رَأَيْتُ مِنْ خِلَالِ ظُلْمَةِ الْمَطَارِ

نُورَكَ يَا مَدِينَتِي عَرَفْتُ أَنَّنِي غُلِّلْتُ

إِلَى الشَّوَارِعِ الْمُسْفَلَّةِ

إِلَى الْمِيَادِينِ الَّتِي تَمُوتُ فِي وَقْدَتِهَا

نَخْضَرَةُ أَيَّامِي

وَأَنْ مَا قُدِّرَ لِي يَا جُرْحِي النَّامِي

لِقَاكِ كُلَّمَا اغْتَرَبْتُ عَنْكَ

بِرُوحِي الظَّامِي

وَأَنْ يَكُونَ مَا وَهَبْتَ أَوْ قَدَّرْتَ لِلْفُرَادِ مِنْ عَذَابٍ

يُنْبِوعُ إلهامى

وأن أذوبَ آخرَ الزمانِ فيك

وأن يضمَّ النيلُ والجزائرُ التى تشقُّه

والزيتُ والأوشابُ والحجرُ

عظامى المفتَّه

على الشوارعِ المسفلته

على ذرى الأحياءِ والسككِ

حين يَلْمُ شملها تابوتى المنحوتُ من جميزِ مصرُ

لِقَاكِ يا مدينتى يخلعُ قلبي ضاغطا ثقيلا

كأنه الشهوةُ والرغبةُ والجوعُ

لِقَاكِ يا مدينتى ينفضُّنى

لِقَاكِ يا مدينتى دموعُ

أهواك يا مدينتى الهوى الذى يَشْرُقُ بالبكاءِ

إذا ارتوت برؤية المحبوبِ عيناهُ

أهواك يا مدينتى الهوى الذى يسامحُ

لأن صوته الحبيسَ لا يقولُ غيرَ كلمتين . . .

إن أراد أن يصارحُ

أهواك يا مدينتي

أهواك رغم أنني أنكرتُ في رحابك

وأن طيريَ الأليفَ طارَ عني

وأنني أعودُ ، لا مأوى ، ولا مُلتجأ

أعود كي أشردَ في أبوابك

أعود كي أشربَ من عذابك . . .



,

أغنية الليل

٢٠

الليل سُكرنا وكأسنا
الفاظنا التي تُدارُ فيه نُقلُّنا ويقلُّنا
الله لا يحرمنى الليلَ ولا مرارته
وإن أتانى الموتُ ، فلأمتُ محدثاً أو سامعاً
أو فلأمتُ ، أصابعى فى شعرها الجعدِ الثقيلِ الرائحةُ
فى ركنىَّ الليلِ ، فى المقهى الذى تضيئه مصابيحُ حزينه
حزينه كحزن عينيها اللتين تخشيانِ النورَ فى النهار
عينان سوداوان
نضاحتان بالجلالِ المرِّ والأحزان
مرَّت عليهما تصاريِفُ الزمانِ
فشالتا من كلِّ يومٍ أسودٍ ظلاً . . .

عينانِ سرِّدِابانِ

عميقتانِ موتا

غريقتان صمتا

فإن تكلمتا

تندتا تعاسة ولوعة ومقتا

ينكشف السردابُ حينما تدقُّ الساعةُ البطيئة الخطى

معلنة أن المسا قد انكشف

تقولُ لى العينانُ :

« يا عاهرى المتوج القودين بالحديد والحصى »

« يا ملكى الغريب الاسم المزيف السمات »

« أحبيتُ فيكَ رؤيةً رأيتها منذ الصغر »

« وكان يُشبهك »

« وليسَ أنتَ . . . ليسَ أنتَ ! »

« كان فتى حلمى جميلاً ، لا مُزوَّقا »

« مُثَقفاً ، لا ذَرِبَ اللسانُ »

« محتشماً ، نبالةً فى الطبع ، لا خَوْفا »

« وعاطفاً ، لا عاطفياً »

« يا عاهرى » .

يا خُذْ عَنِّي ،

يا قَدْرِي « !

« فِي السَّاعَةِ اللَّيْلِيَّةِ الْآخِرَةِ »

« خُذْنِي إِلَى الْبَيْتِ ، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُلْغِيَنَّ النَّدَى »

« تَذُوبُ أَصْبَاغِي

وَيَبْدُو قُبْحُ وَجْهِهِ »

وَتَصَمَّتُ الْعَيْنَانِ ، تَرْجِعَانِ

عَمِيقَتَانِ صَمْتًا

غَرِيقَتَانِ مَوْتًا

الْلَّيْلُ ثَوْبُنَا ، خَبَاؤُنَا

رَتَبَتُنَا ، شَارَتُنَا ، الَّتِي بِهَا يَعْرِفُنَا أَصْحَابُنَا

« لَا يَعْرِفُ اللَّيْلُ سِوَى مَنْ فَقَدَ النَّهَارُ »

هَذَا شِعَارُنَا

لَا تَبْكُنَا ، يَا أَيُّهَا الْمُسْتَمْعُ السَّعِيدُ

فَنَحْنُ مَزْهُوونَ بَانْهَزَامِنَا



٢١ الحب في هذا الزمان

تسألني رفيقتي : ما آخرُ الطريقُ

وهل عرفتُ أوله

نحنُ دميّ شاخصةٌ

فوقَ ستارٍ مُسدَّهٍ

خطيّ تشابكتُ بلا ..

قصدي ، على دربٍ قصيرٍ ضيقٍ

الله وحدهُ الذي يعلمُ ما غايةُ هذا الولهِ المؤرَّقِ

يعلمُ هل تُدرِكُنَا السعادةُ

أم الشقاءُ والندَمُ ؟

وكيف توضعُ النهايةُ المعادةُ

الموتُ . . . أو نوازِعُ السأمِ ؟

يعلمُ ، حين نلتقي بعد سنين أو شهور

هل سيكونُ في العيونِ وجَدُها

هل سيكونُ في العيونِ حَقْدُها .

أم نلتقى كالأصدقاء القدماء

يسلمون في فتور...

يودعون في فتور...

الحبُّ يا رفيقتي ، قد كان

في أول الزمان

يخضع للترتيب والحُبان

« نظرة ، فابتسامة ، فسلام

فكلام ، فموعد ، فلقاء »

اليوم .. يا عجائب الزمان !

قد يلتقي في الحب عاشقان

من قبل أن يتسما

ذكرت أننا كعاشقين عصريين ، يا رفيقتي

ذقنا الذي ذقناه

من قبل أن نشتهي

ورغم علمنا

بأن ما ننسجه مُلاءة لفرشنا

تنقضه أنامل الصباح

وأن ما نهيمُهُ ، نُنعشَ أعصابنا
يقتلهُ البُواحُ
فقدَ نسجناه
وقد همسناه

الحبُّ في هذا الزمانِ يا رفيقتي
كالخزنِ ، لا يعيشُ إلا لحظةَ البُكاءِ
أو لحظةَ الشبقِ
الحب بالفطانةِ اختنقُ
إذا افرقنا ، يا رفيقتي ، فلنلقِ كلَّ اللومِ
على زَماننا
ولنتفض الأيدي في التذكارِ والنَّدَمِ
ولنمسحِ الظلالَ عن عيوننا
ولنبتسم في ثقةٍ ، بأنَّ ما حَدَثُ
كان إرادةَ القَدَرِ
وأنَّ أمراً أمرُ
وأنا قد استجبنا للذي نُحسُهُ

حينَ قَتَلْنَا حَسَنًا

وَأَن مَّا مَضَى

أَهْوَنُ مِن أَن نَحْمِلَهُ كَأَمْسِنَا

مِن أَن يَمِدَّ ظِلُّهُ الْبَغِيزُ

عَلَى شِبَابِنَا

وَلِنَنْتَلِقَ مَغَامِرِينَ ضَائِعِينَ فِي الْبَحَارِ الْعَكِرَةِ

نَمْدُ جِسْمَنَا الْجَدِيدَ ، وَالضُّلُوعَ الْمَقْفَرَةَ

فِي الْغُرْفِ الْجَدِيدَةِ الْمُؤَجَّرَةِ

بَيْنَ صُدُورٍ أُخْرٍ مُّعْتَصِرَةٍ



٢٢ رسالة إلى سيدة طيبة

فى يوم كانت ورده
تغفو فى كم الليل
الشمس رعتها
حتى دبّت فيها الروح
والشمس ،
الشمس أمانتها

وقدأ وتباريح
فى يوم خلق طائر
ألقاه الحظ العائر
فى حب الآفاق الممتدة
فمضى يصاعد منطلقا
هبّت ريح ألقته للسفح
وهوى فى جوف الآفاق الممتدة
ورعاه السفح ، فلم عظامه

حتى دبت فيه الروح
لكن ، هل يأمن حضن الريح
طير مقصوص الريش جريح
حتى والريح رغبة
في ليلة صيف
وقع أحد الشعراء البسطاء
أنغاماً ساذجة خضراء
لينا جي قلب الإلف
لكن كفاً معشوقته قد مزقتنا أوتاره
صارت أنغام الشاعر خرساء
فإذا نطقت كانت سوداوية
يا سيدتي عُدراً . . .
فأنا أتكلم بالأمثال لأن الألفاظ العريانة
هي أقسى من أن تلقيها شفتان
لكن الأمثال الملتفة في الأسما
كشفت جسد الواقع

وبدت كالصدق العُريان

أشقى ما مرّ بقلبي أن الأيام الجهمّة

جعلته يا سيدتي قلبًا جهّمًا

سلبته موهبة الحب

وأنا لا أعرف كيف أحبك

وبأضلاعى هذا القلب . . .



الخروج

٢٣

أخرج من مدينتي ، من موطني القديم
مطرّحاً أثقالَ عيشي الأليم
فيها ، وتحت الثوبِ قد حملتُ سرّي
دفتتهُ ببابها ، ثم اشتعلتُ بالسماءِ والنجوم
أنسلُّ تحتَ بابها بليلٍ
لا آمنُ الدليلَ ، حتى لو تشابهتُ على طلعةِ الصحراءِ
وظهرها الكتومُ
أخرجُ كاليتيمٍ .
لم أتخيرَ واحداً من الصحابِ
لكي يُفدّيني بنفسه ، فكل ما أريدُ قتلَ نفسي الثقيله
ولم أغادرَ في الفراشِ صاحبي يُضللُ الطلابُ
فليسَ من يطلبُني سوى « أنا » القديمُ
حجارةً أكون لو نظرتُ للوراءِ
حجارةً أصبحُ أو رجُومُ

سوخى إذن فى الرمل ، سيقان الندم
لا تتبعينى نحو مهجرى ، نشدتك الجحيم
وانطفئى مصابيح السماء
كى لا ترى سوانح الألم
ثيابى السوداء
تحجرى كقلبك الخبئى يا صحراء
ولتسنى الأم رحلتك
تذكارة ما أطرحت من الأم
حتى يشف جسمى السقيم
إن عذاب رحلتى طهارتى
والموت فى الصحراء بعثى المقيم
لو مت عشت ما أشاء فى المدينة المنيرة
مدينة الصحر الذى يزخر بالأضواء
والشمس لا تفارق الظهيرة
أواه ، يامديتى المنيرة
مدينة الرؤى التى تشرب ضوءا

مدينة الرؤى التى تمجُّ ضوءاً
هل أنتِ وهمٌ واهمٌ تقطعتِ به السُّبُلُ
أم أنتِ حقٌّ ؟
أم أنتِ حقٌّ ؟



٢٤ أغلى من العيون

-١-

عيناك عُشِّي الأخير
أرقدُ فيهما ، ولا أطيّر
هدُّ بهما وثير
خيرُهما وفير
وعندما حطَّ جناحُ قلبي الترقُّ
بينهما ، عرفتُ أنني أدركت
نهايةَ المسير
كفَّاكَ نُعمى ، نِعَمَ ما أعطيتِ للمسافر الفقير
ابن سبيلِ الحبِّ والسرور
كانَ بلا زادٍ يسير
فى المهمه المهجور
وفجأةً ، لاحتْ له بشارَةٌ يضاءُ

رايةً من نورٍ

راحةً من نورٍ

ومِلْتُ نحوَ ظِلِّكَ النَّدَى ، يا حبيبتى

أَنشُقُ رِيحَ الزَّهْرِ فى حَدَائِقِكَ

أُبَلِّ قَلْبى بالنَّدَى ، أُنْعِشُهُ بِالظِّلِّ والنَّسَائِمِ

يَغْسِلُنِى حَنَانُكَ الرَّقِيقُ مِثْلَمَا ،

تَغْتَسِلُ السَّمَاءُ بِالْغَمَائِمِ

ومِثْلَمَا تَهْتَزُّ لِلرَّبِيعِ شَجَرَةٌ

يَسْقُطُ عَنِ وِرْقَى الْقَدِيمِ

يَمُوتُ حُزْنى الْعَقِيمِ ، حُزْنى الْمَقِيمِ

يَصَافِحُ الْحَيَاةَ وَجْهَى الَّذِى نَضَرَّتْهُ بِسُمِّكَ

أَمَدَ نَحْوِ الشَّمْسِ كَفِيًّا

وَأَرْفَعُ الْعَيْنِينَ لِلنُّجُومِ

-٢-

مَنْ أَى نَبْعٍ رَائِقٍ يَفِيضُ حُبًّا

يَغْمُرُنَا سَعَادَةً كَأَنَّا طِفْلَانُ

لم نعرفِ التجوالَ في الزمانِ
أى نسيمٍ ناعمٍ هذا الحنانِ
وأى كأسٍ حلوةٍ تلكَ التى نذوقُها
حينَ تُطلُّ من عيوننا قلوبنا المجنَّحةُ
تبحثُ فى الأحداقِ عن طعامِها ومائها
ثم تنامُ فى أمانِ
وأى كونٍ طيبٍ يحيطُنا
حينَ نكونُ وحدنا معا
أى كمالٍ لم يُشاهدْ مثلهُ أى جمالِ
اللهُ عادلٌ بنا ، والكونُ خيرٌ ما يزالُ
والناسُ شقاقونَ كالخيالِ
وأنتِ يا لؤلؤتى المنورةُ
أنقى من الظلالِ

-٣-

يطيبُ لى فى آخرِ المساءِ أن أقولَ كلمتينِ
شفاعةً أرفعُها اليكِ يا سيدةَ النساءِ

الحبُّ يا حييتى أغلى من العيونُ

صونه فى عينيكِ واحفظيه

الحبُّ يا حييتى ملكُنا الحنونُ

كونى له مطيعة سميعة

الحبُّ يا حييتى هدية الحياة لى ، ولكُ

لمتعينِ حائرٍ فى السنينِ

الحبُّ يا حييتى فردوسنا الأمينُ

حين تزودُ ظَهْرنا الأيامُ

وتتهدى رحلتنا لشاطئِ المنون

نلوبُ فى هوائه مهلينَ باسمينُ

كأننا لحونُ



أحلام الفارس القديم

٢٥

لو أننا كنا كغصني شجرة
الشمس أرضعت عروقنا معاً
والفجر رواتنا ندى معاً
ثم اصطبغنا خضرة مزدهرة
حين استطلنا فاعتقنا أفرعاً
وفي الربيع نكتسى ثيابنا الملونة
وفي الخريف ، نخلع الثياب ، نعرى بدنا
ونستحم في الشتاء ، يُدْفِئنا حنوُّنا

لو أننا كنا بشطّ البحر موجتين
صُفَيَّتا من الرمال والمحار
توَجَّتا سبيكة من النهار والزبد
أسلمتا العنان للتيار
يدفعنا من مهدنا للحدنا معاً

فى مشية راقصة مُدندنه
تشرُّنا سحابة رقيقة
تدوبُ تحت ثغرِ شمسٍ حلوةٍ رفيقه
ثم نعودُ موجتين توأمين
أسلمتا العنانَ للتيارِ
فى دورةٍ إلى الأبدِ
من البحارِ للسماءِ
من السماءِ للبحارِ

لو أننا كنا نُجيمتين جارتين
من شرفةٍ واحدةٍ مطلقنا
فى غيمةٍ واحدةٍ مضجعنا
نضئُ للعشاقِ وحدهم وللمسافرين
نحو ديارِ العشقِ والمحبةِ
وللحزانى الساهرينَ الحافظينَ موثقَ الأحبةِ
وحين يَأْفُلُ الزمانُ يا حبيبتى
يُدرِكُنَا الأُفولُ

وينطفئ غرامنا الطويلُ بانطفائنا
يبعثنا الإلهُ في مسارِبِ الجنانِ درتينُ
بين حصيٍّ كثيرٍ
وقد يرانا مَلَكٌ إذ يَعْبُرُ السَّيْلُ
فينحنى ، حين نشدَّ عينهُ إلى صفائنا
يلقطننا ، يمسحنا في ريشه ، يُعجبهُ بريقنا
يرشقنا في المفرقِ الطهورِ

لو أننا كنا جناحي نورسٍ رقيقٍ
وناعمٍ ، لا يَبْرَحُ المضيقُ
محلَّقٍ على ذُؤاباتِ السفنِ
يبشرُ الملاحَ بالوصولِ
ويوقظُ الحنينَ للأحبابِ والوطنِ
منقارهُ يقتاتُ بالنسيمِ
ويرتوى من عرقِ الغيومِ
وحينما يُجنّ ليلُ البحرِ يطوينا معاً . . . معاً
ثم ينامُ فوق قَلْعِ مركبٍ قديمٍ

يؤانسُ البحارة الذين أرهقوا بغربة الديار
ويؤنسون خوفه وحيرته
بالشدو والأشعار
والنفخ في المزمار

لو أننا

لو أننا

لو أننا ، وآه من قسوة « لو »
يا فتتى ، إذا افتتحنا بالمتى كلامنا
لكننا ...

وآه من قسوتها « لكننا »

لأنها تقولُ في حروفها الملفوفة المشتبكة
بأننا نُنكرُ ما خلّفتِ الأيامُ في نفوسنا
نودُ لو نخلعهُ

نود لو ننساه

نود لو نعيده لرحم الحياة

لكننى يا فتتى مجرّبٌ قعيدٌ

على رصيفِ عالمٍ يمجُّ بالتخليط والقيامة

كونِ خلا من الوَسَامَةِ
أكسبني التعتيمَ والجُهامه
حين سقطتُ فوقهُ في مطلع الصبا

قد كنتُ فيما فاتَ من أيامِ
يا فتتى محارباً صلباً ، وفارساً هُمَامُ
من قبلِ أن تدوسَ في فؤادى الأقدامُ
من قبل أن تجلِدَنى الشُموس والصقيعُ
لكى تذلل كبريائى الرفيعُ
كنتُ أعيش في ربيعِ خالدٍ ، أى ربيعِ
وكنتُ إن بكيتُ هزنى البكاءُ
وكنتُ عندما أحسَ بالرثاءُ
للبرّساءِ الضعفاءُ
أودُّ لو أطعمتهم من قلبى الوجيعُ
وكنتُ عندما أرى المحيرينَ الضائعينَ
التائهينَ فى الظلامِ
أود لو يُحرقُنِي ضياعُهُم ، أود لو أُضىءُ
وكنتُ إن ضحكتُ صافياً ، كأثنى غديرُ

يَفْتَرُ عَنْ ظِلِّ النُّجُومِ وَجْهَهُ الْوَضِيُّ
مَاذَا جَرَى لِلْفَارِسِ الْهُمَامُ ؟
انْخَلَعَ الْقَلْبُ ، وَوَلَّى هَارِباً بِلَا زِمَامٍ
وَانْكَسَرَتْ قَوَادِمُ الْأَحْلَامِ
يَا مَنْ يَدُلُّ خُطُوتِي عَلَى طَرِيقِ الدَّمْعَةِ الْبَرِيثَةِ
يَا مَنْ يَدُلُّ خُطُوتِي عَلَى طَرِيقِ الضَّحْكَ الْبَرِيثَةِ
لَكَ السَّلَامُ
لَكَ السَّلَامُ
أَعْطَيْكَ مَا أَعْطَيْتَنِي الدُّنْيَا مِنَ التَّجْرِبِ وَالْمَهَارَةِ
لِقَاءَ يَوْمٍ وَاحِدٍ مِنَ الْبَكَارَةِ
لَا ، لَيْسَ غَيْرَ « أَنْتَ » مَنْ يَعِيدُنِي لِلْفَارِسِ الْقَدِيمِ
دُونَ ثَمَنِ
دُونَ حِسَابِ الرِّيحِ وَالْخَسَارَةِ

صَافِيَّةُ أَرَاكَ يَا حَبِيبَتِي كَأَنَّمَا كَبُرَتْ خَارِجَ الزَّمَنِ
وَحِينَمَا التَّقِينَا يَا حَبِيبَتِي أُيْقِنْتُ أَنَّنَا
مَفْتَرِقَانُ

وأنتى سوف أظلّ واقفاً بلا مكانُ
لو لم يُعدنى حُبكِ الرقيقُ للطهارةُ
فنعرفُ الحبَّ كغُصْنى شجرةٍ
كنجمتين جارتينُ
كموجتين توأمين
مثل جناحي نورسٍ رقيقُ
عندئذٍ لا نفترقُ
يضمنا معاً طريق
يضمنا معاً طريق



انتظار الليل والنهار

٢٦

وهكذا مات النهار
ومال جنب الشمس ، واستدار
ثم تساقط المساء فوقنا ،
مثل جدار خرب ، وانهار
واعتنقت صحيفة السماء والغبراء ،
لطحنا الجبين بالغبار
وانطفأت نوافذ المرضى ، وأنوار الجسور
أعين الحراس والمآذن
تكوّمت حوائط الظلمة في مداخل البيوت والمخارن
فانكفأت كثيئة مرصوصة ، كأنها مدافن
منهارة على بقايا جبل منهار



في آخر المساء شعشت سحابة بنور

سحابةٌ ناحلة رقيقةُ
وأومضت حمراءَ حمرةَ الزهور
سُويعةً ، وانطفأت في عتمة الأفق
واندفع النهار
(يا حمرة الغسق
يا لون عمري الذي ودعته حقيقةً . . .
وعشته تذكارُ
أضاعك الليل كما أضاعك النهار)



وهكذا مات المساء
حين تقلبت على ضلوعها الشمسُ ،
وهبت تعتلي السماء
تنفست شوارع المدينة الرعناء
أصوات ضجةٍ بلا إيقاع
وانسكبت مجامر الشعاع
تمور في العيون ، تكشف الظلال ،
تنقب الحجر

أواه يا نور الضحى ،
ملأت قلبي فزعاً وترحاً
لأننى رأيت فوق ما أردت أن أرى
بوركتِ وقدة الظهيرة
النورُ يجلدُ العيونَ ، تعشى ، لا ترى
من البيوت والبشر
سوى مكعباتٍ لونٍ وحجر



فى آخر اليوم تدب فى عروق الشمس فترة الملal
ويولد اللون الرمادى الرقيق
حتى ضجيج الطرقات
ينحلُّ إيقاعاً رمادياً رقيقاً
(كلون أيامى التى ما استطعتُ أن أعيشها حياة . . .
فعشتها تأملاً)



سريعة ، ويهبط السوادُ حين ينقضى الأصيل

فالشمس ألفت نظرة الوداع

واتكأت مرهقةً على التلال



وهكذا تمضى الحياة بى ،

أعيش فى انتظار

هل ...

لحظةً مشرقةً فى ظلمات الليل

أو ... لحظةً هادئةً فى غمرة النهار



٢٧ مراثية رجل تافه

مضت حياته .. كما مضت

ذليلة موطأه

كأنها تراب مقبره

وكان موته الغريب باهتاً مباغتاً

متظراً ، مفاجاه

(الميتة المكرره)

كان بلا أهل ، بلا صحاب

فلم يشارك صاحباً حين الصبا لهو الصبا

ليحفظ الوداد فى الشباب

كان وحيداً نارفاً كعابر السحاب

وشائعاً كما الذباب

وكنت أعرفه

أراه كلما رسا بى الصباح فى بحيرة العذاب

أجمع فى الجراب

بضع لقيمات تناثرت على شطوطها التراب

ألقى بها الصبيان للدجاج والكلاب

وكنت أن تركت لقمة أنفت أن ألمها

يلقطها ، يمسحها فى كفه ،

يبوسها ، يأكلها

« فى عالم كالعالم الذى نعيش فيه

تعشى عيون التافهين عن وسخة الطعام والشراب »

وتسألوننى : أكان صاحبى ؟

وكيف صحبة تقوم بين راحلين

إذن لماذا حينما نعا الناعى إلى نعيه

بكيته

وزارنى حزنى الغريب ليلتين

ثم رثيته



٢٨ مراثية رجل عظيم

كان يريد أن يرى النظام فى الفوضى ،

وأن يرى الجمال فى النظام

وكان نادر الكلام

كأنه يبصر بين كل لفظتين

اكدوبة ميتة يخاف أن يبعثها كلامه

ناشرة الفودين ، مرخاة الزمام

وكان فى المسا يطيل صحبة النجوم

ليبصر الخيط الذى يلمها

مختبئاً خلف الغيوم

ثم ينادى الله قبل أن ينام :

الله ، هب لى المقلة التى ترى

خلف تشتت الشكول والصور

تغيرُ الألوان والظلال

خلف اشتباه الوهم والمجاز والخيال

ونخلف ما تسدله الشمس على الدنيا .

وما ينسجه القمر

حقائق الأشياء والأحوال

وتسألوننى : أكان صاحِبى

هل صُحبةٌ تقوم بين سيد عظيم

وخادم محتال ؟



٢٩ زيارة الموتى

زرنا موتانا فى يوم العيد
وقرأنا فاتحة القرآن ، ولملمنا أهداب الذكرى
وبسطناتها فى حضن المقبرة الريفية
وجلسنا ، كسرنا خبزاً وشجوناً
وتساقينا دمعاً وأنينا
وتصافحنا ،
وتواعدنا ، وذوى قربانا
أن نلقى موتانا
فى يوم العيد القادم



يا موتانا
كانت أطياكم تأتينا عبر حقول القمح الممتده
ما بين تلال القرية حيث ينام الموتى

والبيتِ الواطئِ في سفح الأجران
كانت نسماتُ الليل تعيركم ريشاً سحرية
موعدكم كنا نترقبه في شوق هدهد الاطمئنان
حين الأصوات تموت ،
ويجمد ظل المصباح الزيتي على الجدران
سنشم طراوة أنفاسكم حول الموقد
وسنسمع طقطقة الأصوات كمشى ملاك وسنان
هل جئتم تأتسون بنا ؟
هل نعطيكم طرفاً من مرقدنا ؟
هل ندفئكم فينا من برد الليل ؟
نتدفأ فيكم من خوف الوحدة

حتى يدنو ضوء الفجر ، ويعلو الديكُ سقوف البلده
فنقول لكم في صوتٍ مختلج بالعرفان
عودوا يا موتانا

سندبر في منحنيات الساعات هنيهات
نلقاكم فيها ، قد لا تُشبعُ جوعاً ، أو تروى ظمأ

لكن لُقْمٌ من تذكّارٍ ،
حتى نلقاكم فى ليل آت



مرت أيام يا موتانا ، مرت أعوام
يا شمس الحاضرة الجرداء الصلده
يا قاسية القلب النارى
لَمْ أَنْصَجْتُ الايامُ ذوائبنا بلهيبك
حتى صرنا أخطاباً محترقات
حتى جفّ الدمع التديانُ على خدِّ الورقِ العطشان
حتى جفّ الدمع المستخفى فى أغوار الأجفان



عفواً يا موتانا
أصبحنا لا نلقاكم إلا يوم العيد
أدركتم أنّا صرنا أخطاباً فى صخر الشارع ملقاة
أصبحتم لا تأتون إلينا رغم الحب الظمآن
قد نذكركم مرات عبر العام ...

كما نذاكرُ حلماً لم يتمهل في العين
لكنّ ضجيج الحاضرة الصخرية
لا يسعفنا حتى أن نقرأ فاتحة القرآن
أو نطبع أوجهكم في أنفسنا ، ونلّم ملامحكم
ونُخبّئها طيّ الجفن



يا موتانا
ذكراكم قوت القلب
في أيام عزتُ فيها الأقوات
لا تنسونا .. حتى نلقاكم
لا تنسونا .. حتى نلقاكم



٣٠ يا نجمى .. يا نجمى الأوحـد

ها أنت هنا ، أشرقت على موعد
يا نجمى ، يا نجمى ، الأوحـد
يا فرحى ، يا عمرى الأسعد
وأنا أخطو نحو الدار
قلبى المشبوب ، وقد أغفت
فى صدرى باقة أرهار
وسنجلس فى الركن النائى .. قطين أليفين
مقرورين
نتحسس ما أبقت أيامُ الذل على وجهى المكدودُ
وعلى خديك من الألم الممدود
يا نجمى ، يا نجمى الأوحـد
ما رلنا - ما زال العالم
ما زال كثيباً ، مازالا
وأنا أصعد

وأدق على صدرِ الباب
ويجيبُ الصوتُ المجهود
« إن كنت صديقا فتقدم »
وأقول « سلاماً »

وأنا لا أملك من دنياى سوى لفظ سلام
وجلسنا فى الركن النائى . . .

نحكى ما قد صنعته الأيام
ونما فى قلبينا مرح مغلول الأقدام
مرح خلّابٌ كالأحلام
وقصير العمر

هل يضحك يا نجمىَ إنسان مقصوم الظهر
يا نجمى . . .
فلتتاجى ،

ولتتحسس ما أبقت أيام الذل
ولأن الأيام مريضه
ولأن الليل الموحش يولد فيه الرعب

تعتل كليمات الحب

يا نجمى ، يا نجمى الأوحى
ما يصنع قزمان التقيا فى ظل مساء ؟
منهوكين
وعليلين

نظرا فى استحياء
عرفا الأيام الممروره
وأنين النفس المكسوره
وسعار الدَّم المذنب حين يحن إلى الدم
لفحت أيام الرعب رُواءهما حتى شاهها
وُذوى فى عينها زهو الفطنه
عريا من بزة هذا العصر المشهود
صَغُرَا ، صَغُرَا ، حَتَّى دَقَّا
حتى صارا قزمين
مقرورين

ثم التقيا فى ظل مساء

فى قلب العاجز ماذا يُلقى العاجز

ماذا يَهَبُ العُرْيَانُ إلى العريان

إلاَّ الكلمه

والجلسه فى الركن النائى ،

قزمين ودودين

صَغُرَا ، صَغُرَا ، حتى دقا

فى قلب العاجز ماذا يُلقى العاجز إلا الحبُّ المعتل

مَسَحَتْ صدر الشباك أصابعُ ریح شرقیه

وتوهج قلبانا من شىء يولد فى الظلمه

فتلاصقنا

وتعانقنا

ثم خبا ، لم ندرك شيئا

ونهدل كفانا ، أغضت

عينانا ، أخرفنا دمعة

يا أيتها الريح . . الريح الشرقيه

يا . . يا وهج الدفء

عوداً ! أوصدنا بايينا

وعرفنا أنا قزمان مقروران
من خيركما لم ندرك شيئاً
فوداعاً يا نجمي الأوحـد
ولأن الأيام مريضة
ولأن الليل الموحش يولد فيه الرعب
لن نجنى .. حتى الحب



مرثية لعبد الناصر

لا ، لم يميت ...

وتظل أشتاتُ الحديدِ ممزقاتٍ في الضمائرِ

غافياتٍ في السكينةِ

حتى تصير لها من الأحزانِ أجنحةٌ ،

تطير بها كلاماً مرهقاً ، يمضى ليلقُفه الهواءُ

يرده لترن في جدرانهِ دور مدينة الموت الحزينه

أصوات أهلِها الذين نبت بهم سرُّ البكاء

يتجمعون على موائد السهرِ الفقيرِ ، معذيينَ

ومطرقين

الدمع سقياهم ، وخبزهمُ التأوه والأنين

يلقون - بين الدمعتين - زفير أسئلةٍ ،

تُخشِش مثل أوراق الخريف الدابلاتُ

هل مات من وهب الحياة حياته

حقاً أمات ؟

ماذا سنفعل بعده ؟

ماذا سنفعل دونه ؟

حقاً أمات ؟

تتجمع الكلمات حول اسم سري كالنبض في شريانهم ،

عشرين عاما

كان الملاذ لهم من الليل البهيم

وكان تعويد السقيم

وكان حلم مضاجع المرضى ، وأغنية المسافر في

الظلام

وكان مفتاح المدينة للفقير ، يذوده حرس المدينة

عن حماها

وكان موسم نيلها ،

يأتي فيشر ألف خيط من خيوط الخصب تورق في رباها

وكان من يحلو بذكر فعاله في كل ليله

للمرهقين النائمين بنصف ثوب ، نصف بطن
سَمَرُ المودة والتغنى والتمنى والكلام

والآن أصبح كل لفظ خنجرا ، ولكل أمنية عذاب
هل مات ، واحزنناه

آه لو يعود لبرهة ، ويجيل نظرتي ،
ويكشف عن غد بعض الضباب

أواه ، لكن كيف آب إلى التراب ؛
ولم يحن وقت الإياب

القول يرهقنا ،

لنصمت ،

علَّ في الصوت التأسى والسلام

فالنصمت أجمل ما يكون إذا غدت سُبُلُ الكلام

تفضي إلى نار المواجد أو إلى ماء السراب

وتقودنا الذكرى الصموت إلى عميق نفوسنا الملاءى ،

وتختلج الظلال

ونهميم في كنا وكان
ويعود ذياك الزمان
ونروح في استرخاءة الموجد نمنر عمرنا في ظله
يوماً فيوما

الصفحة الأولى ، ..
وكان مجيئه وعداً من الآجال ،
لا يوفي لمصر ألف عام
والليل ممدود السراق فوقنا ظلماً وظلماً
والثورة الكبرى توهم واهم ورؤى خيال
حتى طلعت ، طلعتما ، الثورة الكبرى ، وأنت
كان مصر الأم كانت قد غفت ،
كى تستعيد شبابها ورؤى صباها
وكانها كانت احترقت ..

لتطهر ثم تولد من جديد فى اللهب
وخرجت أنت شرارة التاريخ من أحشائها
لتعود تُشعل كل شئ من لظاها

وتعيش فى أيماننا الملى بصوتك منشداً لغة رخيمة
كى يوقظ الموتى من الأجداد ،

يبعث من ركام العالم المدفون أطياف انتصارات

قديمة

لتعود للوادى ، وتبعث فى ثرى مصر الجديده

والعظيمة

ونعيش مع أيماننا الملى بيومك واسعاً كالأمنيات ،

وضيقاً بالصخر والشوك المدمى والرماد

أيماننا الملى بأصداء انتصارك ..

سهمنا المسنون جار مداه منتصراً وعاد

أيماننا الملى بأوجاع انكسارك

أحدٌ وبدر شارتان على رداء محمد ، عاش الجهاد

لا ، لم نكن نحيا كما يحيون أيماناً نُقضُّها إلى يوم المعاد

بل كان ما نحياه تاريخاً كأروع ما تكون ملاحم التاريخ

ساح ترن بها أغانى المجد مُرعدةً ، وحممة الجياد

ونعيش فى أيماننا الملى بوقع خطاك فى الوادى الأمين

إذ كنت فرحتنا الكبيرة ، حين تمسك فى يديك الحلم ،

تشر منه فوق أسرة الأطفال والمستضعفين
أو فى نواحي بيت مصر على رؤوس شبابها المتجمعين
إذ كنت تجعلهم يمدون الرقاب وتشرب عيونهم
نحو السماء
ويمدُّ حبل الأمنيات لكى يصيد الشمس من عليائها
حتى لنطمح أن نُقسِّم نورها قطعاً على أحبائنا
ونعيد ما طمر الزمان ، وأخلفت عدة السنين
ونعيش فى أيامنا الملى بصورتك التى عاشت على أهدابنا
عشرين عاما

نلقاك شاباً فى رداء الحرب تنفخ فى النفير
كى توقظ الأشلاء ، تجمع شمل مصر المسترقة
كانت على مجرى الزمان تمزقت قطعاً
فقطفت على مسار النيل تجمع مزقة فى إثر مزقه
حتى نهضت ، نهضتما ، أقيتما التابوت فى لهب السعير
وعدتما فى خير رفقة

نلقاك كهلاً أشيب الفودين فى عمر النبوه

تُعلَى موَاقِفُ الأَخُوهِ
وتَضُمُ في عَيْنِكَ تَوَقُّ النِّيلِ لِلأَنْهَارِ ،
يلغَطُ أَهْلُهَا بُلْغَى العُرُوبِ
وتؤَلِّفُ المَدَنَ القَرِيبِ
كَانَتْ قَدْ اخْتَلَفَتْ وَغَيْرَهَا الزَّمَانُ ،
وَأَصْبَحَتْ مَدَنًا غَرِيبِ
نَلْقَاكَ فِي الخَمْسِينَ أَكْثَرَ حِكْمَةً وَأَشَدَّ حَزْناً
الأَقْرَبَاءُ تَبَاعَدُوا وَتَبَاغَضُوا ،
وَالنَّصْرُ أَخْلَفَ وَعْدَهُ ، وَاللَّهُ يُلْهِمُنَا الطَّرِيقَ ،
يَشُدُّ أَزْرَ الْمُؤْمِنِينَ
اللَّهُ ! يَا هَوْلَ السِّنِينَ
المَحَنَةُ الكُبْرَى ، وَوَجْهَكَ غَائِبٌ ، وَاللَّيْلُ يُوغِلُ
وَالشَّجْوَنُ
هَلْ مِتَ ؟ لَا ، بَلْ عَدْتُ حِينَ تَجْمَعُ الشَّعْبَ الكَسِيرَ
وَرَاءَ نَعْشِكَ
إِذْ صَاحَ بِالإِلَهَامِ :

مصر تعيش . . . مصر تعيش . . .

أنت إذن تعيشُ ، فأنت بعض من ثراها

بل قبضة منه تعود إليه ، تعطيه ويعطيها ارتعاشتها

وخفقَ الروح يسرى في بقايا تربها ، وذمما دماها

مصر الولود نمتك ، ثم رعتك ، ثم استخلفتك على ذراها

ثم اصطفتك لحضنها ،

لتصيرَ أغنيةً ترفرف في سماها



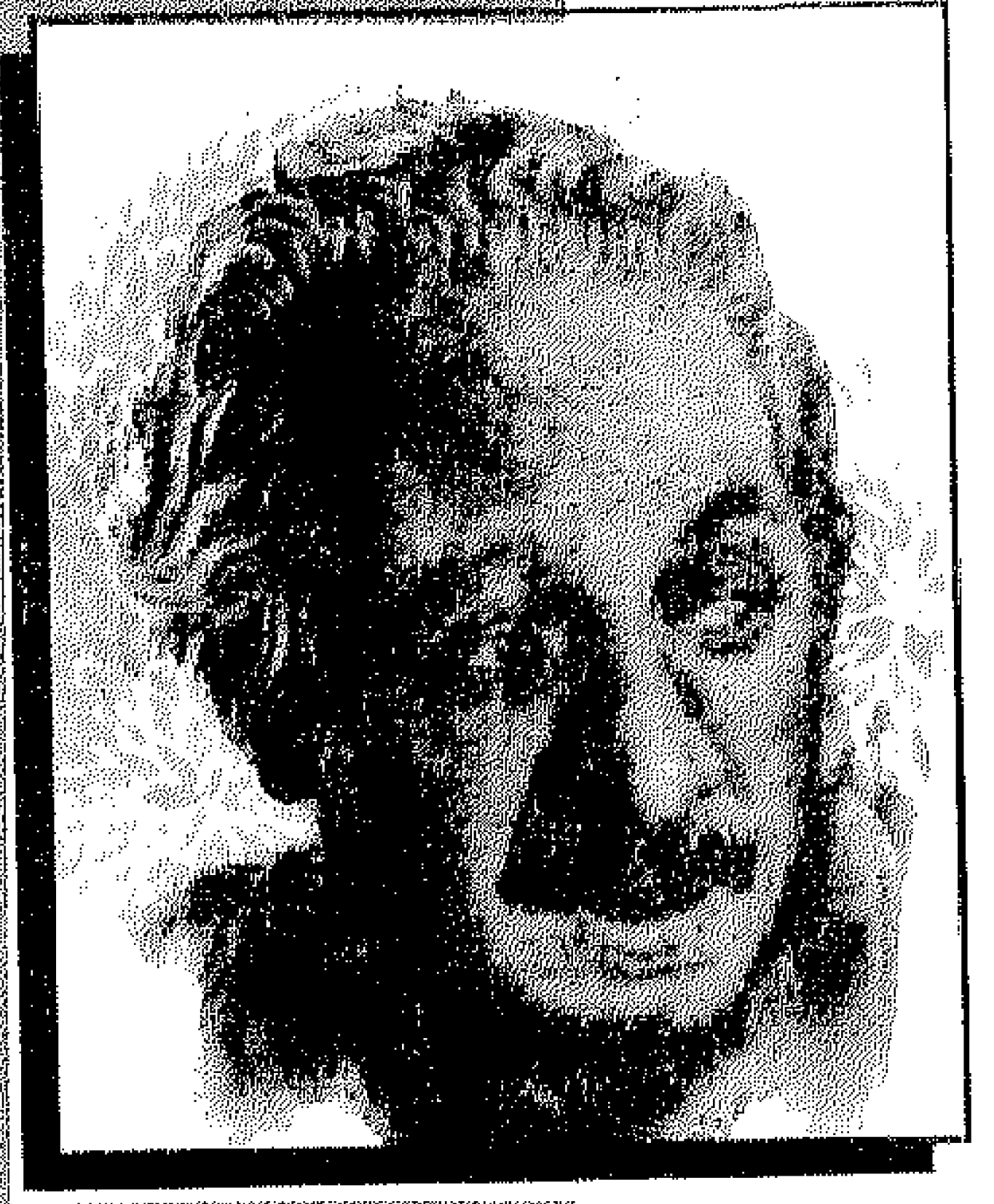
رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٨/٨٠٩٢

I.S.B.N 977- 01 - 5723 - 6

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

تتخر مكتبة الأسرة بأن تقدم إلى
القارئ العربي هذا العلم مختارات من
أروع ما كتبه الشاعر العظيم صلاح
عبد الصبور ، وهي تجمع شتى القرون
التي أبدعها وتنفرد فيها ، ويمتاز بالتنوع
في السوي وفي الأساليب والأشكال
الفنية ، وتشهد بعبقورية قل أن يجود
الزمان بمثلا .

وقد اختيرت القصائد بدقة من
دواوينه الأربع عشرة الأولى وروعي في
ترتيبها التسلسل الزمني ، بحيث يمكن
للقارئ أن يتابع تطور الشاعر من
الديوان الأول ، الناس في بلادى ، إلى
الثاني وهو أقول لكم ، إلى الثالث وهو
أحلام الفارس القديم ، وحتى الرابع وهو
تأملات في زمن جريح ، ونرجو أن
تكون هذه الطاقة من أزهار الشعر الحديث
حافزا يحفز القراء على قراءة الدواوين
كلها فيما بعد .



مكتبة الأسرة



بسعر مئتي مائة وخمسون قرشا

بمناسبة

مهرجان القاهرة للكتاب ١٩٩٨

مطابع

الهيئة المصرية العامة للكتاب